النعمة والحق

Jan Feb 1-2 2016

السنة الرابعة والعشرين

يناير وفبراير ٢٠١٦

العدد ١٣٩

النعمة والحق

مجلة مسيحية تصدر مرة كل شهرين

في هذا العدد :

افتتاحية العدد	غضب الله	١
موضوع العدد	غضب الله هل هو حقيقي	٢
موضوع العدد	غضب الله هل هو حقيقي	٧
موضوع العدد	غضب الله في الماضي والمستقبل	١٦
الأخبار السارة	بين الخوف والمخافة	٢١
شخصيات ومواقف	حياة يوسف	٢٢
تأملات هادئة	--	٣٢
من روائع الكلمة	الله .. بين قصده وخطته	--

الخوف من الله شعور سلبي، إلا أنه يمكن أن يقودنا إلى الإرتباط الحقيقي بالله. كيف؟!

اقرأ الأخبار السارة

ص ٢١

الاشتراك السنوي (٦ أعداد) ١٠ جنيهات، أو ما يوازي ١٠ دولارات في الخارج (بخلاف أجرة الإرسال بالبريد). بريد إلكتروني: gtmag@ilovejesus.net

جميع الحوالات والمراسلات على ص.ب. ١٩٧ - رقم بريدي ١٢٣١١ - الإسكندرية. مع مراعاة وضوح الاسم والعنوان كاملا.

رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٢ لسنة ١٩٩٣ - النعمة والحق ت: ٤٢٧٤٠٣٥ - الإسكندرية (٠٣).

افتتاحية العدد

غضب الله

يتجاهل الكثيرون هذه الحقيقة "غضب الله"، البعض بحسن نية، حتى يجعلوا "صورة الله" بحسب منطقهم الخاطيء مقبولة لدى الناس، وهو ليس بحاجة إلى ذلك بالقطع. والبعض يتجاهلها بسوء نية قاصدين الاستمرار في شرورهم مع أوهام؛ بأن الله هو فقط الرحيم الرؤوف إله كل نعمة فحسب.

أما الحقيقة فهي أن إلهًا لا يغضب ليس هو الله الحي الحقيقي بالتأكيد. فقداسته المطلَقَة وبره وعدله يقتضيان الغضب على الشرور والفساد والخطايا بكل أنواعها ودرجاتها بحسب مقاييس البشر المختلفة.

إن صور غضب الله في التاريخ كثيرة وكبيرة. وفي كلمة الله؛ فالطوفان، رماد سدوم وعمورة، وسبي الشعب القديم ... إلخ، كلها تحدثنا عن هذا الغضب. أما أوضح إعلان لهذا الغضب فهو مشهد الصليب عندما احتمل المسيح - له كل المجد - قصاص خطايانا في جسده القدوس على خشبة الصليب، وبالتحديد في ساعات الظلام الرهيبة، التي فيها كان يدفع الثمن ويحتمل الغضب الرهيب.

لذا فالهروب من هذا الغضب يستحيل أن يكون بغير اللجوء إلى المسيح البديل الوحيد الذي احتمل نفس هذا الغضب على الصليب. والويل لمن لم يضع ثقته في المسيح لأنه في هذه الحالة يختار أن يحتمل غضب الله بنفسه!! وعن هذا الموضوع الخطير تدور مقالات عددنا هذا

موضوع العدد

رتشارد بارنت

غضب الله ....هل هو حقيقي؟

المقدمة:

قد تضمن كلمة "غضب"؛ الانتقام، السخط، الانفعال، أو الغضب الشديد. وفي رسالته الأولى للرسول يوحنا، نجد الإعلان عن الله «نور» و «محبة» (ايو١: ٥، ٤: ٨) وهما صفتان يشيران إليه في طبيعته.

وبالرغم من وجود القرائن الكثيرة عن "غضب الله" فليس هناك نص يشير إلى أن الله تعال هو الغضب. وهذا هو الاختلاف البيَن، حيث أن غضب الله هو ما يعلنه في معاملاته إزاء الخطية والأشرار. فالغضب ليس في جوهره! وفي الحقيقة فإن إعلان غضبه يوصف «فَعْلَهُ الْغَرِيبَ، عَمَلَهُ الْغَرِيبَ» (إش٢٨: ٢١) وهذا ما يوضح الحق العظيم بأنه لا يشاء أن يموت الخاطئ ولا يسر بهلاكه (حز١٨: ٣٢، ٢بط٣: ٩).

غضب الله كما نراه في صليب المسيح:

«إِلهي، إِلهي، لِمَاذَا تركْتنِي» (مز٢٢: ١، مت٢٧: ٤٦).

دعنا – عزيزي القارئ – نفكر عميقًا في هذه الكلمات التي نطق بها الإنسان الوحيد الذي عمل سرور الله دائمًا وكان بلا خطية ولم تكن فيه خطية ولم يفعلها. وفي تلك ساعات الظلمة الرهيبة حينما كان الإنسان يسوع المسيح معلقًا فوق الصليب؛وهو ابن الله الحبيب؛ وباعتباره ابن الإنسان، كان حاملاً للخطية. ذلك اليوم لم يكن له مثيل وفي كل تاريخ العالم؛ حيث أُحتجبت الشمس في رابعة النهار بلمعانها وكانت

٩٩★★على وجه كل الأرض ظلمة! وكانت السماء كالنحاس ولم يخترقها صراخ ذلك الإنسان المعلق بين السماء والأرض (مز٢٢: ٢) ولقد كان كالإنسان وحيدًا والله أيضًا تركه! كان الغضب إلهيًا ومقدسًا حينما «لأَنَّهُ(الله) جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ» (٢كو٥: ٢١). إن غضب الله الحبيس انصب عليه - له المجد - بسبب الخطية وشر البشرية، على الإنسان يسوع المسيح!...وما لم يصرخ الفادي تلك الصرخة على الصليب الرهيب ما كنا نصدق كل ذلك.

إن غضب الله الحبيس بسبب الخطية وشر البشرية، انصب على الإنسان يسوع. وما لم يصرخ الفادي تلك الصرخة على الصليب الرهيب ما كنا نصدق كل ذلك.

إنه سر عظيم، أن نصدق تفسيره لكل ذلك بقوله «وَأَنْتَ الْقُدُّوسُ» (مز٢٢: ٣) وهنا يكمن - أساسًا - الإجابة عن الآلام التي لا يُسبر غورها التي عاناها - له المجد - تحت غضب الله. فالله القدوس لا يمكن أن يغض الطرف عن الخطية لأنها ضد طبيعته. فنيران الدينونة الإلهية قد وقعت على رأس القدوس حينما استقرت، قال: «قَدْ أُكْمِلَ» (يو١٩: ٣٠) وكانت إشارة واضحة بتمام الكفارة وتم الفداء.

وفي بستان جثيماني صلى قائلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ» (مت٢٦: ٣٩) والكأس هنا تشير إلى الغضب الإلهي ضد الخطية الذي قبله في طاعة كاملة. ولم يكن هناك طريق آخر لمجد الله

ورفع الخطية التي بها أخطأنا ضد الله. وعلى أساس آلامه أمكن لله «لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ» (رو٣: ٢٦).

وتصف أجزاء من سفر المزامير (٦٩: ١، ٨٨: ٧، ١٦، ١٠٢: ٩، ١٠) نبويًا كيف اختبر في نفسه القدوسة غضب الله الذي أنصب عليه.

غضب الله حاليا ضد الخطاة:

«الَّذِي يُؤْمِنُ بالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ» (يو٣: ٣٦).

منذ أن أحتمل المسيح مرة غضب الله لأجل الخطية، كيف يبقى الله غاضبًا ضد الخطاة؟ إن الخلاص الذي قدمه الله عظيم جدًا، تكلف الكثير من جهته – تعالى- فكيف يكون موقفه حيال من يرفضه ويزدري بروح النعمة؟

ألا يجلبون العار لله الذي «بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو٣: ١٦) وتأمل - عزيزي القارئ - الاحتقار الذي يلصقونه للرب يسوع المسيح الذي أحتمل هو نفسه آلامًا فوق تصور البشر ليخلصنا؟ إذا أعطيت أحدًا هدية قيمة فإذا لم يكتف برفضها بل واحتقرها فإنني أحس بمشاعر الغضب؛ فماذا عن الله! الذي في محبته العظيمة ونعمته الغنية؛ وهما لم نكن في استحقاق لهما، قدم لنا خلاصًا وله مطلق الحرية أن يتعامل مع من يرفض عطيته بطريقة مناسبة. فالرفض لما عمله خلال المسيح، يجعل يستقر غضبه على ذلك الشخص. وهذا ما صوره الرسول في (رو٣: ٥، ٦) «أَلَعَلَّ اللهَ الَّذِي يَجْلِبُ الْغَضَبَ ظَالِمٌ؟ أَتَكَلَّمُ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ. حَاشَا! فَكَيْفَ يَدِينُ اللهُ الْعَالَمَ» بل وأيضًا «لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ» (رو١: ١٨).

لاحظ - عزيزي القارئ - إن غضب الله موجه ضد مجموعتين من الناس: أولئك الذين يمارسون الفجور (الأمم) وأولئك الذين يحجزون الحق بالإثم (اليهود). وكلاهما تحت الدينونة وغضب الله باستثناء من يقبلون الخلاص الذي يقدمه الله في المسيح منهما. بل وداود أيضًا في (مز٧: ١١، ١٢) يقرر بأن «اَللهُ قَاضٍ عَادِلٌ، وَإِلهٌ يَسْخَطُ فِي كُلِّ يَوْمٍ. إِنْ لَمْ يَرْجعْ يُحَدِّدْ سَيْفَهُ. مَدَّ قَوْسَهُ وَهَيَّأَهَا».

إن صليب المسيح هو الأساس الوحيد الذي به يغفر الله الخطايا. فهو يتعامل مع الإنسان عن طريق الصليب وليس عن طريق فهمه مهما كان مثيرًا للخشية. وعليه أن يأتي - فقط - لله كخاطئ تائب ويؤمن بالمسيح الذي احتمل غضب الله البار ولديه إيمان بأن خطاياه كانت سبب آلام ومعاناة المسيح وموته. وإذ لم تختبر هذا - عزيزي القارئ - فإنني أشجعك بأن تتوب عن خطاياك وتدعو الرب يسوع للدخول في قلبك وبهذه الوسيلة الوحيدة تنجو من ظلمة وقسوة غضب الله.

غضب الله الآتي:

«يَاأَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟» (مت٣: ٧).

يحتاج كل منا أن ينظر ويتأمل كم عاني المسيح وهو فوق الصليب في ساعات الظلمة ليرى أن الله لم يكن سلبيًا حينما يتعلق الأمر بالخطية ودينونتها. وكيفما تكون سخرية العالم واحتقاره للتحذير من يوم الدينونة وأن سيأتي سريعًا على العالم والخطاة. ففي ذلك اليوم ستملئ قلوب الجميع بالخوف والاضطراب إذ يحاولون أن يختبئوا «فِي الْمَغَايِرِ وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ، وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ اسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْخَرُوفِ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟» (رؤ٦: ١٥-١٧). سوف لا يكون هناك مكان للاختباء لأولئك الذين يرفضون الملجأ الوحيد: المسيح. فليس هناك مكان «لا تَقُومُ الأَشْرَارُ فِي

الدِّينِ، وَلاَ الْخُطَاةُ فِي جَمَاعَةِ الأَبْرَارِ» (مز١: ٥) استمع - عزيزي القارئ - لما قاله الرب «لِيَ النَّقْمَةُ وَالْجَزَاءُ. فِي وَقْتٍ تَزِلُّ أَقْدَامُهُمْ. إِنَّ يَوْمَ هَلاَكِهِمْ قَرِيبٌ وَالْمُهَيَّآتُ لَهُمْ مُسْرِعَةٌ» (تث٣٢: ٣٥). وكم نقدر كلمة الله التي تحثنا — نحن المؤمنين — أن نحذر الخطاة بأن يرجعوا عن خطاياهم (أنظر حز٣: ١٨، ١٩ وكذلك أع١٣: ٤٠).

يا للهول! فإن غضب الله سوف ينصب! وفي الجزء الأخير من سفر إشعياء نسمع القول: «ويوم انتقام لإلهنا» (إش٦١: ٢) لقد كان الظهور الأول للرب هو «سنة الرب المقبولة» زمان النعمة لهذا العالم المنكوب بالخطية. ومنذ الصليب لم يتغير العالم في علاقته الأخلاقية أو عداوته لله. وبمناسبة الحديث للخطاة، نشير إلى ما ذكره أيوب في نبوته « لِتَنْظُرْ عَيْنَاهُ هَلاَكَهُ، وَمِنْ حُمَةِ الْقَدِيرِ يَشْرَبْ... أَفَلَمْ تَسْأَلُوا... إِنَّهُ لِيَوْمِ الْبَوَارِ يُمْسَكُ الشِّرِّيرُ. لِيَوْمِ السَّخَطِ يُقَادُونَ» (أي٢١: ٢٠، ٢٩، ٣٠) وذلك اليوم الرهيب سيقع على الذين يدينون الغير بينما هم يقترفون نفس الخطايا ويستهينون بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته مما يقتادك إلى التوبة (رو٢: ٣-١٠) «أَرْسِلْ مِنْجَلَكَ الْحَادَّ وَاقْطِفْ عَنَاقِيدَ كَرْمِ الأَرْضِ، لأَنَّ عِنَبَهَا قَدْ نَضِجَ. فَأَلْقَى الْمَلاَكُ مِنْجَلَهُ إِلَى الأَرْضِ وَقَطَفَ كَرْمَ الأَرْضِ، فَأَلْقَاهُ إِلَى مَعْصَرَةِ غَضَبِ اللهِ الْعَظِيمَةِ» (رؤ١٤: ١٨، ١٩) على المرتدين من اليهود وتخلوا عن الله الحقيقي وعلى المرتدين من المسيحية وهم يمثلون الكنيسة الاسمية (رؤ١٨: ٢-٨) وعلى الأمم (رؤ١٩: ١٥).

هل أنت - عزيزي القارئ - مضطرب بسبب يوم الغضب الآتي؟ إن كنت مؤمنًا ؛ فلا تخف «لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ، بَلْ لاقْتِنَاءِ الْخَلاَصِ بِرَبِّنَا يَسُوع الْمَسِيحِ، الَّذِي مَاتَ لأَجْلِنَا، حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعًا مَعَهُ» (١تس٥: ٩) فلنشجع بعضنا بعضًا بهذه الكلمات!

موضوع العدد

الفريد بوتر

غضب الله

هل هو حقيقي؟!!

الله نور....الله محبة؛ هذا ما نجده في كل من (١يو١: ٥، ٤: ٨-١٦) ونجدهما في انفصال عن بعضهما البعض كما في القرينة. فهاتين الصفتين هما في الله دائمًا ويعملاً معًا. حينما جاءنا الرب يسوع؛ وهو نفسه الكلمة والله نفسه «والكلمة صار جسدًا» وهنا نجد التجسد (يو١: ٤-١٨)، (في٢: ٦) كان — له المجد — «مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا» (يو١: ١٤) «وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا(المؤمنين) أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ». ومن العجيب فإن هذا الملء لازال فائضًا، فلا ينقص أو ينتهي؛ بل يكفي لكل حالة واحتياج المؤمنين. فنعمة الله دائمًا متاحة لكل من يأتي إليه في توبة وطاعة وإيمان لنوالها.

والأمر — عزيزي القارئ — يختلف لمن لا يُقبل إلى الرب في الحالة الصحيحة — السابق ذكرها — أو من يأتي إليه بدوافع أو أسباب خاطئة. فالبعض يُنكر وجوده ويرفض حقوقه عليه أو يقاومه وهم في ذلك قد أغلقوا على أنفسهم طريق الوصول والحصول على هذه النعمة. وأذكر أن «اَللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ» (غلا٦: ٧) والله نفسه — الذي هو محبة — ويُظهر محبته هذه في نعمة غنية لمن يتجاوب معها وبقبولنا لها كما ويتعامل مع من يرفضونها ويهزأون به؛ يتعامل معهم بغضبه! فالله لا يتغير ولا يستهين بمجده. فهو نور وفي النور ولا ينسى شيئًا على الإطلاق. إلا أننا وعلى

شريطة أن نتجاوب معه عن طريق التوبة والرجوع إليه، فإننا ننال منه فيضًا من مصادر النعمة الغنية.

المسئولية:

إن جميع الجنس البشري مسئول أمام الله؛ قبلوا أم لم يقبلوا. فقد خلقهم ولديهم المقدرة أن يعطوا حسابًا، الأمر الذي لا يمتلكه الحيوانات. وفيما يتعلق بآدم وحواء؛ حينما سقطا في جنة عدن تعطلت شركتهم مع الله (أقرأ تك٢: ١٧، ٣: ١-١٩) والرب الإله في – نعمته – أعد ذبيحة بتقديم حيوان بريء في إشارة مستقبلية للمسيح كأساس للشركة مع الله. لقد كان آدم وحواء لديهما الإيمان بالله وتوقيره، كل ذلك هيأهما لاستعادة الشركة مع الله (تك٣٠: ٢٠، ٢١) ولنضع – عزيزي القارئ – في بالنا بأن قيام الشركة أو استردادها وصيانتها؛ يلزم التوبة والاعتراف دائمًا.

ظن قايين بأن الله لابد أن يقبله على أساس مجهوداته الشخصية؛ ولذلك قدم من «أثمار الأرض» قربانًا للرب؛ من نتاج عمله ومن ثمار الأرض الملعونة. والرب لا يمكن ولا يشاء أن يقبل هذا القربان؛ ولكنه يقبل الذبيحة التي قدمها هابيل أخوه، من أبكار غنمه ومن سمانها؛ مما يسر به الرب. مما أثار غيظه وأخيرًا قتل أخاه (تك٤: ١-١٢). إنه يمثل الإنسان المتدين في ذاته وما يفعله بينما هابيل يرينا شخصية الخاطئ الذي نال الخلاص والتبرير وما يعمله وإعجابه الشديد بنعمة الله. وشخصياتهما توضحان الفروق بين نعمة الله وغضب الله.

لقد أجَل الله تنفيذ غضبه على قايين بحمايته من انتقام الغير بعلامة خاصة. ولم يتب قايين وسيواجه غضب الله أمام العرش العظيم الأبيض. إن غضب الله شديد بينما نعمته غنية. وأولئك الذين يرفضون نعمته سيواجهون غضبه؛ كما أوضح

ذلك ربنا يسوع بجلاء «الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ» (يو٣: ٣٦).

مسئولية الشخص أمام الله وأمام أخيه الإنسان:

في (حز١) يشرح الرب مسئولية الشعب للتوبة فتستقيم أموره ويكون مستقيًا معه - تعالي – ومع من حوله. وهو أيضًا لا يشاء أن يهلك الأشرار بل هو يريد منه التوبة ويرجع إليه بالطريقة الصحيحة وبالأعمال الحسنة.

حينما كان بنو إسرائيل في العبودية في مصر طلب موسى من فرعون أن يترك شعب الرب بأن يخرج (خر٤: ٢٣) ورفض أن يسمع للرب وواجه ضربات متتالية تمثل غضب الله إلا أن فرعون قسَ قلبه ووضع الرب – في الضربة العاشرة – استثناء الشعب من غضبه بتوفيره عمل فصح الخروف (تك١٢) وهذا يصور لنا مشهدًا جميلاً للقضية المحورية لموضوعنا: ما لم يقبل الشخص نعمة الله؛ وإلا فسيواجه غضب الله!

وفي العاشر من الشهر الأول يأخذ كل جماعة إسرائيل لهم كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء، شاة للبيت صحيحة ذكرًا ابن سنة ويذبحونه في اليوم الرابع عشر ويرش الدم على القائمتين والعتبة العليا في مدخل البيت ودم ذبيحة الحمل يحمي من في الداخل من دينونة الرب التي ستنصب في تلك الليلة على باقي بيوت المصريين كمثال لغضب الله ودينونته على هذا العالم.

وعند قراءة الاصحاحات (١٢-١٥) من سفر الخروج نلحظ سبعة نقط لامعة: الحماية؛ وذلك بدم الحمل البريء وذبيحته تهيئ شركة العشاء. وهكذا يكون كل الشعب ممثلين في أبكارهم منفصلين لله. ثم التبرير؛ فإن طريق تدخل الرب الفريد أصبح كل الجماعة أحرارًا وتم خلاصهم من سطوة فرعون. وبالمثل؛ فقد أصبح المؤمنون الآن محميين بدم الحمل ومفرزين للرب وقد تحرروا من عبودية الشيطان. كل

هذه كنا في حاجة إليها وهي مقدمة لنا من مطلق نعمة الله فيتمجد بالسجود بالحق وهكذا يكتفي ويشبع على الدوام المؤمنون (أنظر يو٤: ٢٣).

وانصب غضب الرب على فرعون وجيشه أما بني إسرائيل فقد احتموا في حمل بريء ذُبح ليمنحهم سلامًا. وفي ملء الزمان أرسل الله ابنه ليخلصنا (غل٤: ٤-٧، ٣: ١٣) فياله مخلصًا ويالها من ذبيحة!

الله صبور

قال الرب لموسى أنه بطيء الغضب أي صبور (خر٣٤: ٦) وخلال رحلتهم في البرية بل وفي الأرض الموعودة أثار الشعب غضب الرب؛ وبسبب ذلك أنصب عليهم غضبه (عد٢٥: ١١، تث٤: ٢٥، ٩: ٧، ١٨) بل وعلى هارون وأخته مريم (عد١٢: ٩) بل وحتى على موسى نفسه حينما أستثار الشعب غضبه وتجاوز أوامر الرب (عدد٤: ٢١) وسينصب غضب الرب على هذا الشعب مستقبلاً (تث١١: ١٧) بسبب عبادتهم للأوثان (إش٤٠-٤٨) ورفضهم المسيح (إش٤٩-٥٨) وهناك أجزاء كتابية أخرى تتكلم عن هذا مثل «حَتَّى مَتى يَتَّقِدُ كَالنَّارِ غَضَبُكَ؟» (مز٨٩: ٤٦) وهذه أمثلة لطرق الله للتأديب وحكومته وبمقارنة بعض الترجمات، نجد أربعة تعبيرات للنص (نا ١: ٦) عن غضب الله؛ بغضته، غضب وانتقام وهى توضح أن غضب الله هو حقيقي لغير المؤمنين وللمؤمنين. فسيعاني الأولون دينونة أبدية على الرغم من أن الله يصبر كثيرًا مع الرحمة (نور ومحبة) أما عن المؤمنين فهو طويل الروح. ومعاملاته معهم في نطاق محبته لهم ليصيروا في أحسن حال (أنظرتث٨: ١٦) ويردهم إليه.

التوبة:

في العلاقة بين الرب وخاصته؛ فإننا نجد أن التوبة والاعتراف أساسيان «فتوبوا وأرجعوا لتمحى خطاياكم» تكلم الرسول بطرس بهذه الكلمات لليهود غير المؤمنين

الذين رفضوا وقتلوا مسياهم بأيدي أثمه؛ الجنود الرومانيين. فأولئك اليهود لازالوا بل ويجب أن يتوبوا ويرجعوا عن خطاياهم إلى الله فتُمحى.

في دعوته تلك ربط الرسول ثلاث موضوعات معًا:

- يجب أن يغيروا فكرهم عن يسوع الناصري. فالتوبة تتضمن تغييرًا جذريًا في الذهن، فكرًا وأسلوبا، وتعنى أن يرى الشخص نفسه في محضر الله كشخص مُدان؛ كما صرخ إشعياء في يومه «ويل لي» (إش٦: ٥).

- والبينة الصادقة تتضمن تحولاً من أسلوب حياة سابق إلى طريق جديد للحياة. أي في اتجاه عكسي؛ بسبب تغيير الفكر ينتج رجوعًا لله. وحينما تكلم بطرس في يوم الخمسين فقد قبل كلامه بفرح نحو ثلاثة آلاف نفس؛ رجالاً ونساءً. ولازال يتم أيضًا عبر العصور. وفي المستقبل؛ فإن الشعب سيتوب حينما يشجعهم القادة والكهنة ليفعلوا ذلك (إش٥٣، زك١٢: ١٠، عا٥: ١٥، ار٢٩: ١٣). وسيصب الله غضبه على الشعوب التي لا تتوب، أما من يتوب فستمحى خطاياهم (أع٣: ١٩).

- إن التعبير«ستُمحى» تُعنى لفظيًا "ستُمح" لما يشير ما سبق وسُجل كتابة (كو٢: ١٤، رؤ٣: ٥) وهذا يعني أن الله هو الذي سيمحو. وما تم تسجيله بالعلاقة بالشعب بسبب قائمة شروره بالإضافة إلى خطية قتل رئيس الحياة؛ المسيا؛ أي شاملة كل خطاياهم (مز١٠٣: ١٢، إش١: ١٨، مي٧: ١٨) ويستخدم الله نفس التعبير بالارتباط لما سيحدث في مستقبل الأيام حينما يتوب الشعب «أَنَا أَنَا هُوَ الْمَاحِي ذُنُوبَكَ لأَجْلِ نَفْسِي، وَخَطَايَاكَ لاَ أَذْكُرُهَا» (إش٤٣: ٢٥) وحينئذٍ فقط يعود مسيا (مت٢٣: ٣٩).

غضب الله:

لماذا يعد الله قائمة خطايا؟ أنه بذلك يجعل الإنسان يشعر بجسامة الجريمة وبشاعة الدينونة الذي لا يتوب، حينما يقف أمام العرش العظيم الأبيض (رؤ٢٠: ١١-١٥) إن رفض عدم التوبة يقود للوقوع تحت غضب الله. وخلال يوم النعمة، فإن تلك القائمة المشينة تُمحى بقوة عمل المسيح فوق الصليب وسفك دمائه (كو١: ٢٠، ٢: ١٤، ١٥).

وتأسيسًا على ما بينه بولس في (رو٣: ٢٣) فكل إنسان يحمل تلك القائمة الملوثة، والله يمنح محوه الإلهي لكل شخص وهذا من منطق النعمة لمن يتوب ويؤمن. وتوضح الرسالة إلى أهل رومية أن كل إنسان مجرم أمام الله في الوقت الذي لديه – تعالي – رغبة أن يستعيده إليه إذ أن الجميع فاسدوا الأخلاق. ومن منطلق وجهة نظر العدل والبشرية جميعًا فلا فرق بين القوميات أو الشعوب، يهودًا أو أممًا (١٠: ١٢) لأنه «أخطأ الجميع وأعوزهم مجد الله» (٣: ٢٣) الجميع تحت الدينونة إذ أنهم في مستوى واحد من الدينونة أمام الله القدوس والبار.

ونجد ربنا يسوع – له المجد – أبرع جمالاً من بني البشر، الذي لم يعرف خطية، ولم يفعل خطية ولم تكن فيه خطية وهو من حمل بنفسه خطايانا (غل٣: ١٣) وهكذا فإن رسالة الله – في غنى نعمته – اتجهت إلى الجميع.

الله ينتظر

بالرغم من أن كل من لا يؤمن قد دين (يو٣: ٣٦)، فإن الله في تنفيذه الفعلي لإجراء الدينونة، ينتظر (٢بط٣: ٩) حتى يأتي اليوم الذي تستنفذ كل الفرص والوسائل للتوبة تكون قد استنفذت فحينئذٍ يجلس الرب يسوع على العرش العظيم الأبيض فيجرى الدينونة في نهاية الأمر ويكون المخلص هو القاضي ومنفذ الحكم (رؤ٢٠: ١١-١٥، أع١٠: ٤٢، ١٧: ٣١) وجميع الخطاة وأعوزهم مجد الله وهكذا وقعوا تحت الدينونة (رو٣:

٢٣) وكل من تحت الناموس دينوا بحسب ذلك الناموس (١٩٤) أي بمعنى أن جميع من لم يؤمنوا وقعت عليهم دينونة الله وغضبه.

إلا أن حُكم الله العادل يُقدم اليوم الأخبار السارة لنعمة الله حتى إذ يقبلها السامعون يخلصون (أف٢: ١٧) أن المسيح المقام في السماء يقوم بذلك العمل بواسطة المؤمنين على الأرض كوسائل له. ولقد شعر بولس بقوة دفع دعوة الله حينما كتب «نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تصَالَحُوا مَعَ اللهِ» (٢كو٥: ٢٠).

لقد أقام الله؛ الإنسان الذي اختاره، الرب يسوع المسيح من بين الأموات فيا للعجب! بل وأقامه قاضيًا في يوم الدينونة (أع١٧: ٣١، رؤ٢٠: ١١-١٥) وفي أريوس باغوث؛ شرح بولس بين الرجال اليونانيين بأن قيامة المسيح برهان أكيد بأن يوم الدينونة قادم. وليس من يهرب من فحص عينيه.

ولا أرجو — عزيزي القارئ — أنك لم تحظ بعد بالخلاص؛ فالرب يقول لك «تب» ومن جهتي فأقول لك ''لا تؤجل'' سريعًا سيدينك الله بذلك الشخص الذي يمكنك نوال الخلاص منه الآن. لأن غير التائبين فعند الله حل وحيد وأكيد أنهم قد دينوا تحت غضب الله. ففي يوم النعمة الآن؛ فإن الله يؤجل صب غضبه الذي لابد أن يتم. لا تكن غبيًا فتقول سأكون في أفضل حال بمحاولاتي. أسمع ما يقوله سليمان الحكيم «لأَنَّ الْقَضَاءَ عَلَى الْعَمَلِ الرَّدِيءِ لاَ يُجْرَى سَرِيعًا، فَلِذلِكَ قَدِ امْتَلأَ قَلْبُ بَنِي الْبَشَرِ فِيهِمْ لِفَعْلِ الشَّرّ» (جا٨: ١١) ستأتي دينونة الله بكل يقين ولكنه «يتأنى» (٢بط٣: ٩) ليعطيك فرصة للخلاص.

العرش العظيم الأبيض:

«ثُمَّ رَأَيْتُ عَرْشًا عَظِيمًا أَبْيَضَ، وَالْجَالِسَ عَلَيْهِ، الَّذِي مِنْ وَجْهِهِ هَرَبَتِ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، وَلَمْ يُوجَدْ لَهُمَا مَوْضِعٌ! وَرَأَيْتُ الأَمْوَاتَ صِغَارًا وَكِبَارًا وَاقِفِينَ أَمَامَ اللهِ، وَانْفَتَحَتْ أَسْفَارٌ، وَانْفَتَحَ سِفْرٌ آخَرُ هُوَ سِفْرُ الْحَيَاةِ، وَدِينَ الأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ. وَسَلَّمَ الْبَحْرُ الأَمْوَاتَ الَّذِينَ فِيهِ، وَسَلَّمَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ الأَمْوَاتَ الَّذِينَ فِيهِمَا. وَدِينُوا كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ. وَطُرِحَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ. هذَا هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي. وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ» (رؤ٢٠: ١١-١٥).

يعلن سفر الرؤيا بأن المسيح: حمل الله الذي مات كذبيحة خطية هو الذي سينفذ غضب الله (رؤ٤، ٥) وسيفعل ذلك كما توضحه الأصحاحات (٦-١٩) مع أجزاء أخرى من ذلك السفر. وبعد أجراء تلك الدينونات سيملك على الأرض بممالكه المختلفة خلال فترة مدتها ألف عام. وسيقيد الشيطان خلال تلك المدة في هوة سحيقة بلا قرار ويكون بلا تأثير – نوعًا ما – ويكون على صورة مختلفة لما فعله مع آدم وحواء وكذلك الجنس البشري بعدهما (رؤ٢٠: ١-٣) وبعد هذه المدة؛ سيحل لمدة يسيرة. والله في تلك الفترة يعلن بأن الضالين ذكورًا أو إناثًا لم يتغير قلبهم خلال هذه الألف سنة لأن الشيطان سيغري الكثيرين ضد الله (ع٨) حتى أولئك الذين ولدوا أثناء تلك الفترة من المُلك السعيد. وكما سبق وذكرنا في مقدمة هذا الجزء من مقالنا؛ فإن تلك الأعداد تشير بأن دينونة الله حتمًا ستتم وسينفذها حمل الله الذي قدم نفسه كذبيحة فائقة. وبانتهاء فترة نعمة الله (٢كو٥: ٢٠-٢١) سنظهر أمام كرسي المسيح المخلص.

وسواء بسواء؛ سوف لا يقول أي شخص لله ‘‘إن معاييرك والتزاماتك كانت أسمى من قدراتنا’’ كلا. فالقاضي هو ابن الإنسان الذي عاش على أرضنا ما ينيف عن ٣٣ سنة كالإنسان المطيع والمعتمد على الله. وعلى هذا؛ فقد قال بولس للفلاسفة في يومه «فَاللهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا» (أع١٧: ٣٠) «لأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُلٍ قَدْ عَيَّنَهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ»(ع٣١).

وإذ تقف أمام العرش العظيم الأبيض؛ سيكون الوقت قد انتهى للتوبة! ولهذا كتب بولس «هُوَذَا الآنَ وَقْتٌ مَقْبُولٌ. هُوَذَا الآنَ يَوْمُ خَلاَصٍ» (٢كو٦: ٢). فليس غدًا ولكن الآن!.

ولا يسعني — عزيزي القارئ — قبل اختتام هذه التأملات إلا أن أضيف ملاحظتين هامتين:

١. في (مز٩٠) يصف موسى غضب الله في تعبيرات يفهمها كل إنسان. وفي خلال ثمانين يومًا تقريبًا مات خلالها جميع بني إسرائيل في البرية ماعدا يشوع وكالب: كل الذين كانوا تحت سن العشرين عامًا حينما خرجوا من مصر.

٢. تأمل حينما وقف موسى في الثغر أمام الرب؛ فقد رضي بأن يُمحى اسمه من أجل الشعب من كتابه! إلا أنه كان هناك الوسيط الحقيقي الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع (١تي٢: ٥، ٦) كما ذُكرت كلمة «أمحو» فيما يتعلق ب«عماليق» (خر١٧: ١٤) وهذا ما كان يعنيه الله حينما قال لنوح عن الطوفان (تك٩: ١٥).

موضوع العدد

كيفين كوارتل

غضب الله

في الماضي والمستقبل

«لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ» (رو ١: ١٢)

طبقًا لما تعلنه كلمة الله؛ فالغضب هو تعبير الله عن غضبه أمام الخطية، وبصفة خاصة ضد فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم. فالخطاة هم أولئك الذين يحيون غير مبالين بالله وكأنه — تعالي — غير موجود؛ إنه تصرف أناني مبطن بإرادة ذاتية. والإثم هو فعل ما ليس حقًا في خوف الله وما يقدمه من أطر خاصة به ولا يتمسك به — تعالي — الذين يحجزون الحق بالإثم؛ يعرفون القليل عن الله وحقه وربما يدينون الآخرين بذلك الحق وهم لا يعيشون في نطاقه في حياتهم.

غضب الله كما نراه في العهد القديم:

إحدى المظاهر الصارخة لغضب الله في العهد القديم هي تلك التي انصبت على سدوم وعمورة. وفي (تث٢٩: ١٢) يخبرنا الوحي بوضوح انقلاب سدوم وعمورة وأدمه وصبوييم (أربعة مدن بالقرب من البحر الميت) في غضبه ودينونته «وَكَانَ أَهْلُ سَدُومَ أَشْرَارًا وَخُطَاةً لَدَى الرَّبِّ جِدًّا» (تك١٣:١٣) وكم هو جليل أن نجد إبراهيم وقد عاش في انفصال عن تلك المدينة الشريرة، بينما لوط نقل خيامه إلى سدوم (١٢ع) وعاش هناك بل وجالسًا في بابها (١٩:١) ونجد في الكتاب

المقدس بأن الجلوس في الباب يشير إلى أن الشخص يعتبر من قادة المدينة (أنظر را٤: ١-١٢) ويالها من نتائج مرعبة التي تنتج من ذلك؛ فقد تم تدمير بيته وفقد زوجته، وابنتاه ورطتاه في الشر؛ مشهد مذري يثير الاشمئزاز والخجل معًا (تك١٩) وحري بنا — كمؤمنين — أن نتبع مثال إبراهيم فنحيا منفصلين عن «العالم الحاضر الشرير» (غلا١: ٤).

وكنتيجة لتوسط إبراهيم ورحمة الرب العظيمة؛ نجا لوط بواسطة ملاكين قبل أن ينصب الغضب (تك١٩: ١٦، ٢٩) أما إبراهيم فمن حيث المكان الذي وقف فيه أمام الرب؛ يشفع، بكر صباحًا وتطلع نحو سدوم وعمورة لينظر الدينونة التي وقعت على أرض تلك الدائرة بمدنها (تك١٨: ٢٢، ٢٣، ١٩: ٢٧، ٢٨) ونقرأ عن الوصف الحي لتلك الدينونة (تك١٩: ٢٤، ٢٥، ٢٨) إذ نقرأ «فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَلَبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَنَبَاتَ الأَرْضِ...... وَتطَلَّعَ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، وَنَحْوَ كُلِّ أَرْضِ الدَّائِرَةِ، وَنَظَرَ وَإِذَا دُخَانُ الأَرْضِ يَصْعَدُ كَدُخَانِ الأَتُونِ».

يوم الغضب في المستقبل:

بينما نجد البلاء المفاجئ كمثال للتعبير عن غضب الله ضد الخطية في العهد القديم فإن الشهادة الموثقة في العهدين: القديم والجديد؛ هي أنه سيأتي "يوم الغضب" حينما ينصب غضب الله على الأشرار في العالم (أي٢١: ٣٠، مز١١٠: ٥، أم١١: ٤، زك١٧: ١٩، صف١: ١٥، ١٨، رو٢: ٥، رؤ٦: ١٧) ويبدو أن هذا اليوم هو نفسه أو أقل من "يوم الرب" (إش١٣: ٩-١٣). وضدًا لما يمكن أن نتوقعه فإن تعبير مستقبل غضب الله لا يشير إلى بحيرة النار (ومما لا شك فيه فإن غضبه سيظهر هناك) بل إلى الغضب الذي سيقع على الناس في هذا العالم من أجل خطاياهم ورفض ابنه!

بالارتباط مع هذا فقد قال يوحنا المعمدان للفريسيين والصدوقيين الذين أتوا ليعتموا دون أن يكون لهم ثمر «يَاأَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟» (مت٣: ٧،لو٣: ٧) سيكون هناك غضب سينصب على أولئك الذين يدعون ظاهريًا بأنهم من شعب الله مع قادتهم

لأن إيمانهم غير حقيقي. وظهر ذلك جليًا حينما رفضوا مسياهم، الرب يسوع. وكم هو مخجل أن نجد من يدعون بالمسيحيين في هذه الأيام ولكنهم لم يضعوا ثقتهم في الرب يسوع المسيح وعمله الكامل ولا ينقصه شيء من جانبهم – على صليب الجلجثه! ليتهم يهرعون إلى الرب يسوع ليحتموا به قبل يوم غضبه المقبل. إن المشاركة في الأنشطة المسيحية واجتماعاتها سوف لا تخلص أحدًا من يوم الغضب ذاك. إن الرب يسوع وحده الذي يخلص!

ولكن متى يأتي يوم الغضب؟ لقد اختبر الشعب غضب الله الذي وقع عليهم مرات عدة نظير السبي البابلي وبعده حين دمر الرومانيون أورشليم في السنة السبعين ميلادية. أما من جهتنا فإننا نؤمن بأن «يوم الغضب» يشير إليه الكتاب «الغضب الآتي» وما أشار إليه يوحنا المعمدان؛ هو مستقبلاً «الضيقة العظيمة».

وفي (رؤ٦: ١٥-١٧) نجد وصفًا لمقدمة يوم الغضب ذاك «وَمُلُوكُ الأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ وَالأُمَرَاءُ وَالأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرّ، أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَغَايِرِ وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ، وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْخَرُوفِ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟».

وُلد الرب يسوع في هذا العالم غير ملطخ بالخطية في طبيعته الإنسانية، كما وأنه الوحيد الذي لم يفعل خطية خلال تجسده. كم هو مجيد وجليل!

وهنا نجد أن يوم غضبه حال بينما أشار يوحنا المعمدان إشارة إليه بأنه سيأتي، فإن سفر الرؤيا ينظر إليه من منظور وقوعه لا محالة – سريعًا – كما وأننا نؤمن بما يقوله الوحي «غضب الله معلن» (رو١: ١٨) وجدير بالملاحظة والتقدير معًا؛ أن ذلك الغضب هو «غضب الخروف» أيضًا!

أحبائي المؤمنين؛ أنه أمر عظيم ومجيد لأنكم وأنا لن نعرف ذلك الخروف على هذه الصورة. فقد عرفنا ربنا يسوع كحمل الله الذي جُرح لأجل معاصينا وأُسلم من أجل خطايانا (إش٥٣:

٦) وسنراه قريبًا كخروف قائم كأنه مذبوح محوطًا بمفديه الذين فوق الحصر في السماء والكل يسبح «مُسْتَحِقٍ هُوَ الْخَرُوفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ!» (رؤ٥: ١٢) وسوف لا نعرف غضب الخروف لأنه – تبارك اسمه – حمل ذلك الغضب عنا!

نحن نستحق غضب الله:

يمكننا بسهولة أن نرى الخطاة من حولنا يستحقون غضب الله وكنا نظيرهم نستحقها فقد ورثنا طبيعة الخطية من أبوينا الأولين: آدم وحواء؛ مولودين خطاة وفي هذا يسجل الوحي «كنا بالطبيعة أبناء غضب كالباقين أيضًا» (أف٢: ٣) سواء يهودًا أو أممًا. كما وأنه؛ حقيقة، الجميع أخطأوا. فخلال حياتنا كم من الشرور فعلنا «لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية» (أف٥: ٦، كو٣: ٦) فنحن نستحق الغضب لكوننا خطاة، مولودين بطبيعة معادية لله ولدينا كراهية له – تعالي – كما وأننا نستحق الغضب لأننا فعلنا الخطايا في عصيان وعدم طاعة لله.

المسيح احتمل غضب الله نيابة عنا في الصليب:

إن الرب يسوع ابن الله الأزلي الذي ولد في هذا العالم غير ملطخ بالخطية في طبيعته الإنسانية، كما وأنه الوحيد الذي لم يفعل خطية خلال تجسده. كم هو مجيد وجليل. وضدًا لنا، فإنه لم يندم على كلمة تكلم بها، وحتى أعدائه قالوا في يومه: «لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ هكَذَا مِثْلَ هذَا الإِنْسَانِ!» (يو٧: ٤٦) ولم يكن هناك قط توجه أو مشاعر يُعترف بها كخطية. لقد كانت أفكار حياته في طاهرة لأنه لم يفعل خطية (٢كو٥: ٢١) في كلماته وأعماله لم يفعل خطية (١بط٢: ٢٢) ولم تكن فيه خطية (١يو٣: ٥) لأنه قدوس. إلا أنه – ولأجلنا – وضع نفسه تحت دينونة الله للخطية، لقد جاء ربنا يسوع ليأخذ الدينونة التي كنا نستحقها.

لنا الحق أن نتعجب لقاضي أصدر حكمه في قضية ثم يترك منصة القضاء ليتحمل القصاص عوضًا عن الجاني، فكم ندهش – والقياس مع الفارق – حينما نجد أن ابن الله وخالقنا والذي عينه الآن ليكون ديانًا للجميع (يو٥: ٢٢، ٢٧) ينزل من السماء ليذهب باختياره إلى رابية الجلجثا ليتحمل غضب الله بدلاً عنا!

وإنني أدعوك – عزيزي القارئ – أن تتأمل عميقًا فيما سجله الوحي عما احتمله – له المجد – لأجلنا:

- «عَلَيَّ اسْتقَرَّ غَضَبُكَ، وَبكُلِّ تيَّارَاتِكَ ذَلَّلْتنِي» (مز٨٨: ٧).
- «عَلَيَّ عَبرَ سَخَطُكَ. أَهْوَالُكَ أَهْلَكَتنِي» (مز٨٨: ١٦).
- «أنَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي رأَى مَذَلَّةً بقَضِيبِ سَخَطِهِ» (مرا٣: ١).

إن كان أحد يقرأ – كل ما سبق – ولم يهرب إلى الرب يسوع لينجو من الغضب الآن فإننا نرجوك "تصالح مع الله" ما دام «الوقت مقبول» و «اليوم خلاص» (٢كو٥: ٢٠، ٦: ٢) وأن كلمة الله تؤكد لنا « الَّذِي يُؤْمِنُ بالابْنِ لَهُ حيَاةٌ أبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بالابْنِ لَنْ يَرَى حيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ » (يو٣: ٣٦).

أما من استراح على عمل المسيح الكامل فليتنا – معًا – نهتف من الأعماق ‘‘هللويا ما أمجد مخلصًا’’ لقد أحتمل غضب الله الذي كنا نستحقه إذ أخذ مكاننا فوق الصليب، وسيأتي سريعًا؛ مخلصنا من الغضب الآتي (١تس١: ١٠) فبه وبعمله قد بوركنا بكل بركة روحية (أف١: ٣) كما وأننا نتمتع بالحياة الأبدية منذ الآن وقريبًا في مجال أعظم في محضره المبارك نعم. «آمين تعال أيها الرب يسوع» (رؤ٢٢: ٢٠).

بين الخوف والمخافة

فارق شاسع بين مخافة الله؛ مهابته واحترامه وتوقيره، وبين الخوف منه! ذلك الشعور السلبي الذي أوجدته الخطية بسقوط الإنسان الأول في الجنة والذي عبَّر عنه اختفاء آدم من وجه الرب عوضًا عن شركته السابقة معه «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ(خفت)، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ» (تك٣: ١٠).

والواقع أن الخوف من الله، وإن كان شعورًا سلبيًا لا نشجع على الاستمرار فيه، إلا أنه بكل تأكيد أفضل بكثير من تبلد الأحاسيس وموت المشاعر وإسكات الضمير من نحو الله تمامًا، الأمر الذي نراه منتشرًا بين الناس في هذه الأيام الأخيرة والأزمنة الصعبة.

لكن المهم ألا تتوقف النفس عن الخوف من الله الديان العادل، فهو «إِلهٌ بَارٌّ وَمُخَلِّصٌ» (إش ٤٥: ٢١). صحيح أنه قدوس وبار، لكنه أيضًا محب ومخلِّص في نفس الوقت وعلينا أن نلتجئ إليه لا أن نهرب منه، وعندئذٍ، بالتوبة بالإيمان، ليس فقط نتخلَّص من مشاعر الخوف منه إذ أن «لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تطرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ» كقول الكتاب لكن بالأحرى تتحول إلى مشاعر المخافة والمهابة والتقوى وهو أعظم ما يمكننا اختباره من مشاعر في الحياة.

حياة يوسف

شخصيات كتابية

ف. ب. ماير

والد يوسف

كثيرًا ما دفعَنا إعجابنا بشخص بارز إلى التساؤل عن أبيه وأمه. ويقرر لنا التاريخ أن وراء أغلب العظماء آباء أفاضل وأمهات فضليات، لذلك لا نعجب إن وجدنا في الكتاب المقدس ما يشبع هذه الغريزة البريئة — غريزة حب الاستطلاع — سيَّما في رواية يوسف، التي سمح لنا فيها بالتطلع فيما وراء الستار لنرى العلاقات بينه وبين والده الشيخ يعقوب.

(١)- محبة يوسف البنوية التي لم تنقص:

كان واضحًا أن محبة يوسف لأبيه اضطرمت في قلبه بنار لا تُطفأ، ولذلك منذ اللحظة الأولى التي رأى فيها إخوته بين الجموع المحتشدة في سوق القمح من كل الجنسيات. لم يدرك هؤلاء الإخوة كم كان متلهفًا ليعرف إن كان أبوه لا يزال حيًّا، ولا أدركوا نشوة الفرح التي هزت قلبه عندما قالوا «هُوَذَا الصَّغِيرُ عِنْدَ أَبِينَا الْيَوْمَ» (تك٤٢: ١٣). فواضح إذن أن صورة الأعرج المحبوب كانت لا تزال مرتسمة في مخيلته رغم مرور خمسة وعشرين عامًا منذ أن رآه لآخر مرة.

وعندما أتى إليه إخوته للمرة الثانية لابد أن يكونوا قد تملكتهم الدهشة عندما لاحظوه يسأل برقة واهتمام عن سلامتهم ويقول لهم «أَسَالِمٌ أَبُوكُمُ الشَّيْخُ الَّذِي قُلْتُمْ عَنْهُ؟ أَحَيٌّ هُوَ بَعْدُ» (تك٤٣: ٢٧). أما يهوذا فكان يجهل أنه يضرب على الوتر الحساس في حديثه عن أبيه مرارًا وتكرارًا، وعن محبته للابن الأصغر، الأثر الوحيد الباقي لأمه، ذاك الأب الذي كان في أشد القلق

لئلا يصيبه أذى، الذي كان يخشى أن تنزل شيبته بحزن إلى الهاوية إن لم يعد. حرَّكت تلك الإشارات المتكررة عن الوالد كل عواطف يوسف حتى أنه «لَمْ يَسْتَطِعْ يُوسُفُ أَنْ يَضْبِطَ نَفْسَهُ»، ولذلك فإنه بعد أن أعلن ذاته قائلاً «أَنَا يُوسُفُ» كان هذا هو أول ما سأل عنه «أَحَيٌّ أَبِي بَعْدُ» (تك٤٥: ٣).

وفي الكلمات المضطربة التالية، المملتئة من العواطف والشجون، انسابت من بين شفتيه كلمات كثيرة عن والده ضمن الكلمات التي فاه بها للصفح عن إخوته. «أَسْرِعُوا وَاصْعَدُوا إِلَى أَبِي وَقُولُوا لَهُ: هكَذَا يَقُولُ ابْنُكَ يُوسُفُ قَدْ جَعَلَنِيَ اللهُ سَيِّدًا لِكُلِّ مِصْرَ. اِنْزِلْ إِلَيَّ. لاَ تَقِفْ... وَتُخْبِرُونَ أَبِي بِكُلِّ مَجْدِي فِي مِصْرَ وَبِكُلِّ مَا رَأَيْتُمْ، وَتَسْتَعْجِلُونَ وَتَنْزِلُونَ بِأَبِي إِلَى هُنَا» (تك٤٥: ٩، ١٣).

ولا مشاحة في أن الأيام والشهور التي انقضت في انتظار يوسف لأبيه قد سببت له كثيرًا من القلق والاضطراب. وعندما سمع أخيرًا أن أباه الشيخ وصل إلى حدود مصر على إحدى المركبات التي أرسلها إليه «شَدَّ يُوسُفُ مَرْكَبَتَهُ وَصَعِدَ لاسْتِقْبَالِ إِسْرَائِيلَ أَبِيهِ» (تك٤٦: ٢٩).

يا لجلال ذلك الاستقبال، مهما كان السفر قد أضنى ذلك الشيخ فلابد أن يكون قد استعاد قواه عندما سمع القوم يقولون «يُوسُفُ قَادِمٌ »، ويخيل إليّ أنه نزل عن مركبته وبدأ يحدق ببصره الضعيف في الجماعة القادمة التي خرج من وسطها ذلك الحاكم الجليل القدير، وأسرع «وَلَمَّا ظَهَرَ لَهُ وَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَبَكَى عَلَى عُنُقِهِ زَمَانًا» وبعد أن تفرس فيه من هامة رأسه إلى أخمص قدمه قال بكل سرور وافتخار وراحة قلب «أَمُوتُ الآنَ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ وَجْهَكَ أَنَّكَ حَيٌّ بَعْدُ»، ولست أدري ماذا كان شعوره عندما تذكر تأوهاته السابقة التي قال في إحداها «صَارَ كُلُّ هذَا عَلَيَّ» (تك٤٢: ٣٦).

لم يكن هذا هو كل ما في الأمر، ولكن يوسف أحب أباه محبة مفرطة لدرجة أنه لم يستحِ به، فعندما سمع فرعون بوصول أبيه وإخوته سُرَّ سرورًا عظيمًا، وطلب من يوسف أن يعمل كل ما فيه راحتهم. «أَرْضُ مِصْرَ قُدَّامَكَ. فِي أَفْضَلِ الأَرْضِ أَسْكِنْ أَبَاكَ وَإِخْوَتَكَ، لِيَسْكُنُوا فِي أَرْضِ

جَاسَانَ. وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يُوجَدُ بَيْنَهُمْ ذَوُو قُدْرَةٍ، فَاجْعَلْهُمْ رُؤَسَاءَ مَوَاشٍ عَلَى الَّتِي لِي» (تك٤٧: ٦)، وبعد ذلك أحضر يوسف أباه أمام فرعون.

ونحن لا يسعنا إلا الإعجاب بصراحة يوسف التي قدم بها أباه لذلك الملك العظيم الذي تحف به تقاليد أعظم ملوك العالم. كانت هناك هوَّة اجتماعية سحيقة بين مصر وكنعان، بين القصر والخيمة، بين الملك والراعي.

ولو كان يوسف أقل نبلاً أو بساطة مما كان لأحجم أو تردد في جمع النقيضين، وخشي من إظهار أصله الوضيع، وخجل من أقربائه الذين أتوا ليكونوا عالة على البلاد التي احتضنته، ولكن كل هذه الاعتبارات انتفت من مخيلته أمام اعتبار آخر هو أن هذا الرجل المهدم الأعرج كان أباه.

إن هناك تهاونًا شديدًا في هذه الناحية في جميع طبقات مجتمعنا الآن، سيَّما أبناء العمال في المدن الصناعية الكبرى، فالشبان يستطيعون أن يكسبوا دخلاً طيبًا يمكنهم من أن يستقلوا عن والديهم، وإذا ما دفعوا إليهم بعض المساعدة الضئيلة توهموا أنهم ليس لهم حق في طلب مساعدات أخرى فيما بعد، وينسون أنهم ملتزمون بإيفاء باقي ديونهم الطويلة العريضة. ولا يفكرون في أن يذكروا كم كلفت سنوات الطفولة الطويلة التي لم يكونوا فيها إلا عبئًا ثقيلاً، لا يذكرون الرقة المتناهية التي خدمتهم أثناء أمراضهم الخطرة، التي لم تذق طعمًا للنوم أو الراحة، والتي اعتبرتهم ملائكة وقديسين وأبطالاً، واحتملت شراستهم ومضايقتهم، وسهرت الليالي في إعداد ملابسهم أو سائر مطالبهم.

في بعض الحالات لا تزال تصرفات الأبناء البالغين نحو والديهم مخزية، إنه أمر عادي أن نرى بعض الأشخاص ينتقلون في سنوات قليلة من الفقر إلى الثراء، وعندما تزداد الثروة يتغير الوضع الاجتماعي للشخص، فيسكن بيتًا جميلاً، ويولم الولائم، ويشتري السيارات، ويرسل أبناءه لأرقى المدارس.

وماذا يفعل بالوالدين المتقدمين في السن؟ إنه لا يقدم لهما إلا مساعدة ضئيلة، ويحرص على أن يعيش بعيدًا عن بيته وأسرته، لشدة إستحائه بهما. يا للعار... يقينًا إن مَنْ يتصرف هذا التصرف كثيرًا ما يبدو في أقواله أو أفعاله — دون أن يدري — ما يُظهر لرفقائه الجدد أصله الوضيع أكثر من وجود والديه معه. إنني أعجب كل الإعجاب بمروءة وشهامة يوسف الذي افتخر بتقديم أبيه المحطم الأعرج إلى فرعون.

أيها الشبان: أكرموا والديكم، لا تسيئوا معاملتهم لمجرد معرفتكم بأن محبتهم لكم تحتمل وقاحتكم، إن الأدب الذي لا يوقر الأقرباء إن هو إلا طلاء كاذب، لا تنادوهم بأسماء محتقرة، افتخروا بأن تنادوهم بهذا اللقب الرفيع السامي"أبي، أمي". قد تكون لهم أخطاؤهم، ولكن ليس من كرم النفس أو الشهامة أن تطيلوا التفكير فيها، من الممكن أن تعتبروا هذه الأخطاء أو النقائص ثانوية جدًا بجانب صفاتهم الطيبة التي تغطي عليها، تشبهوا — في الاحترام البنوي — يا بني نوح اللذين سترا حتى خطية أبيهما.

(٢)- سؤال فرعون:

«كم هِيَ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِكَ؟» (تك٤٧: ٨). كان هذا أول ما سأله فرعون عندما دخل يعقوب في حضرته، ولعل الباعث على السؤال كان مظهر يعقوب الذي أحنى الهم ظهره. هذا سؤال طالما جرى على أفواهنا، ولكنه مقياس خاطئ لتقدير طول حياة الإنسان، فالحياة لا تقاس بعدد أيامها، بل بالكيفية التي صُرفت بها تلك الأيام.

تقاس الحياة بالأعمال لا بالسنوات.. وبالأفكار لا بالنسمات.. وبالمشاعر لا بعدد الساعات.

يعمر البعض سنوات طويلة. وفي نهايتها يقدمون قليلاً أو لا يقدمون شيئًا، إن أخرجت الساعات التي ضاعت هباء، ساعات التراخي والكسل، ساعات البطالة، ساعات الانغماس في الملذات، فإنه لا يتبقى إلا ساعات قليلة، هي ساعات الحياة الحقيقة، هناك أشخاص عاشوا سبعين عامًا ولكنهم لم يعيشوا من كل هذه السنوات سوى ستة شهور. لما تضغط كميات هائلة من

القطن فإنها لا تشغل إلا حيزًا ضئيلاً هكذا تنكمش حياة الكثيرين إلى حيز ضئيل جدًا تحت ضغط الحقيقة، وحياتنا الحقيقية لا تبدأ من الولادة الأولى بل من الثانية وأما ما قبل ذلك فليس له اعتبار.

يعمر الآخرون سنوات قصيرة، ولكنهم يملأونها بحياة نبيلة حافلة بجلائل الأعمال. عرفوا كيف يحافظون على المواعيد ويُجدون في أعمالهم، وينظمونها، ويفتقدون الوقت، حافظوا على الدقائق بكل حرص وتقتير، انتفعوا أحسن انتفاع بأوقات الفراغ التي بذَّرها غيرهم كشيء لا قيمة له. والنتيجة أنهم قدموا الكثير، كم من كتاب قرأوه، كم من أعمال قاموا بها، كم من أصدقاء اكتسبوهم في الثلاثين من عمرهم، ولكنهم في هذه السنوات القصيرة عاشوا حياة يعيشها معظم البشر في ستين عامًا.

هل لي أن أتطفل فأسأل كل واحد من قرائي الأعزاء وأنا الآن في سن الشيخوخة – هذا السؤال: كم هي أيام سني حياتك؟

هل أنت في السابعة عشر؟ هذا هو الوقت الحرج. هو السن الذي تكون فيه حياتك، فكما تكون حياتك الآن سوف تكونها فيما بعد، أنت الآن على وشك ترك المرفأ الأمين لتخرج إلى عرض المحيط، احذر، إنه يبدو جميلاً ولكنه مخادع، احرص أن يكون على ظهر سفينتك الربان الأعظم، يسوع المسيح، لن يستطيع أحد سواه إنقاذ سفينتك من الصخور والمخاطر المختفية في الطريق. ولا تتخذ أحدًا من الملاحين إلا من يختارهم هو.

هل أنت في الحادية والعشرين؟ هذا هو سن الرشد، أو سن الاستقلال، لا تنس أبدًا أنه يوجد على الأقل واحد لا يمكنك الاستقلال عنه، قد تتمرد عليه، وتذهب إلى كورة بعيدة، وتبذر مالك وماله في عيش مسرف، ولكنك لابد عائد إليه في النهاية، فلا راحة حقيقية، أو طعام، أو كرامة، خارجًا عن بيته، أيها الابن الضال، عُد إلى بيتك، عُد إلى بيتك.

هل أنت في الثلاثين؟ في هذه السن خرج ربنا من عزلته أذكر أن الكثيرين قد عاشوا حياة عظيمة وماتوا قبل أن يصلوا إلى هذه السن، كالإسكندر ذي القرنين وغيره من قادة العالم.

ماذا أنت فاعل في هذا العالم؟ تعال، أسرع، إن زهرة حياتك سريعة الذبول. احذر لئلا تضطر أن تقول في ختامها: "لقد أنفقت حياتي في الأباطيل التي لا تفيد".

"يالها من رواية محزنة ... تلك التي نقصها في أذن المساء ...عما فعله الصباح نحو إزالة المجد ...وتبديد الآمال الحلوة ... عن نباتات الرحمة التي ماتت ... التي كان يمكن أن تترعرع وتزدهر".

ولكنك لست في حاجة لذكر الماضي بتلك الكلمات الأسيفة، إن كنت فقط تسلم كل كيانك للرب يسوع المسيح، طالبًا منه أن يحفظ نفسك. ويفكر في عقلك، ويحيا في قلبك، ويعمل في حياتك، ويكمل فيك مسرة مشيئته «وَعَمَلَ الإِيمَانِ بِقُوَّةٍ» (٢تس١: ١١).

هل أنت في الأربعين؟ تيقظ فقليلون جدًا هم الذين تجددت حياتهم في هذه السن التي هي بداية الانحلال، إن كنت للآن لم تسلم الحياة للمسيح فإن الفرصة تتضاءل كل أسبوع بسرعة شديدة جدًا.

هل أنت في الخمسين أو الستين أو السبعين؟ لقد بدأ المشيب يخط شعر رأسك، يجب أن تكف عن المشروعات السابقة، وعن زيارة الأماكن العادية، وتسلم الأعمال التي كانت موضوع فخرك — إلى مَنْ هم أقوى منك. وكل ما حولك ينذر بأنك على أبواب ظل الموت بظلامه الدامس. فكيف أنت مزمع أن تستقبله؟ هل بارتعاد ومذلة وخور عزيمة؟ هل ستستسلم إلى مصير مرعب لا مفر منه؟ أم بشجاعة وترحيب، كما فعل ذلك السجين قديمًا الذي قال عندما دنت نهاية حياته، «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ»، أيها الشيوخ، إن عيوننا تشخص إليكم لتعلمونا كيف ننتظر نهاية الحياة، وكيف نموت.

إنه لسؤال خطير «كم هِيَ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِكَ؟» خليق بنا أن نتأمل في قلة سني حياتنا، أن نرى الوقت الجشع يأكل الشاطئ الضحضاح الذي نقف عليه. إن أفضل ما أعجبت به من كل كتابات "ملتون" هو حديثه الذي وجهه للوقت. وكثيرًا ما قرأت في تاريخ حياة "تشارلس

كنجزلي" تلك الفقرة التي تبين كيف أنه هو على فراش الموت، كان يقرأ ذلك الحديث مرارًا وتكرارًا، سيما هذه الفقرة التالية، التي أرجو أن نرددها نحن بدون فزع أو خوف:

طر أيها الوقت الجشع، حتى تختفي عن العيان.

(٣) إجابة يعقوب:

«فَقَالَ يَعْقُوبُ لِفِرْعَوْنَ: أَيَّامُ سِنِي غُرْبَتِي مِئَةٌ وَثلاَثُونَ سَنَةً. قَلِيلَةً وَرَدِيَّةً كَانَتْ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِي، وَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَيَّامِ سِنِي حَيَاةِ آبَائِي فِي أَيَّامِ غُرْبَتِهِمْ» (٤٧: ٩).

كانت قليلة: بالنسبة لأعمار آبائه، فقد عاش تارح ٢٠٥ سنة، وإبراهيم ١٧٥ سنة، وإسحق ١٨٠ سنة، أما كل ما عاشه يعقوب فقد بلغ ١٤٧ سنة.

وكانت ردية: في شبابه انتزع عن الأحضان الأبوية، وعن الأصدقاء الأعزاء، وخرج وحيدًا لكي يقضي أفخر أيام حياته غريبًا في أرض غريبة. كانت خدمته لخاله لابان مضنية وشاقة، كان في النهار يأكله الحر، وفي الليل الجليد (تك٣١: ٤). لم يتخلص من لابان إلا بشق النفس. ولم يكد يتخلص منه حتى واجه خطرًا أمرّ. كان عليه أن يلتقي بأخيه الذي يطلب نفسه. في تلك الأزمة الحرجة التقى بالملاك الذي صارعه فخلع حق فخذه، وصار أعرج حتى نهاية حياته.

لم تكد هذه المصائب تمر حتى اكتنفه خطر شديد من الكنعانيين أهل شكيم، وجاز وسط مناظر شيّبَت شعر رأسه، وجعدت جلد وجهه، وجرحت قلبه.

وهكذا وصل إلى لوز، فماتت دبورة مرضعة رفقة، ودُفنت تحت بلوطة سميت منذ ذلك بلوطة البكاء (تك٣٥: ٨).

«ثُمَّ رَحَلُوا مِنْ بَيْتِ إِيلَ. وَلَمَّا كَانَ مَسَافَةٌ مِنَ الأَرْضِ بَعْدُ حَتَّى يَأْتُوا إِلَى أَفْرَاتَةَ، وَلَدَتْ رَاحِيلُ (زوجته المحبوبة) وَتعَسَّرَتْ وِلاَدَتُهَا... وَكَانَ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهَا، لأَنَّهَا مَاتَتْ، أَنَّهَا دَعَتِ اسْمَهُ بَنْ أُونِي (أي ابن حزني) » (تك٣٥: ١٦- ١٨).

بعد ذلك بقليل وصل إلى ممرا، حيث مات أبوه فدفنه بالاشتراك مع عيسو أخيه (تك٣٥: ٢٩).

أما الآلام التي انهالت فوق رأسه بعد ذلك فقد سبق أن هزت قلوبنا أثناء تأملنا في سيرة ابنه يوسف العجيبة.

قليلون هم الذين عانوا ما عاناه يعقوب من مصائب ومرائر، وقد يخيل لنا أن حياته كانت فاشلة.
إلا أن يعقوب هذا بنفسه عندما وقف أمام فرعون، أنحنى أمامه فرعون، وهو أعظم ملوك العالم، بشغف ليلتمس منه البركة

ثم أن رأوبين لوث اسمه بخزي وعار (تك٣٥: ٢٢).

ويهوذا لوث اسم العائلة بالدنس والفجور (تك٣٨).

ويوسف كانت كل الأدلة تدل على أن وحشًا رديئًا افترسه.

ومنازعات أبنائه مع بعضهم البعض مزقت قلبه.

وحتى بعد التقائه بابنه الذي طالت غيبته كان عليه أن يعيش عالة على ملك مصر سبعة عشر عامًا، مبعدًا عن الميراث المجيد الذي وعد به شعبه.

هكذا كانت العوامل الخارجية لحياة يعقوب، قليلون هم الذين عانوا ما عاناه يعقوب من مصائب ومرائر، وقد يخيل لنا أن حياته كانت فاشلة. قارنها بحياة عيسو وما منحه العالم من نصيب تجد الفرق الشاسع.

صحيح أن يعقوب نال البكورة، ولكن حياته كانت مليئة بالنكبات والآلام. وعيسو فقد البكورية، ولكنه كان له كل ما تشتهيه النفس، كانت له الثروة، والجاه، والأبناء البارزون — هذه كانت نصيب كأسه، في (ص ٣٦) من سفر التكوين نجد قائمة بأسماء الأمراء والملوك

الذين كانوا من سلالته. لابد أن يكون عيسو قد رثى لحال أخيه مرارًا. ولعل لسان حاله كان يقول: "إن أخي المسكين يتبع الأوهام على الدوام، كثير التفكير في المستقبل، ويبني قصورًا في الهواء أما أنا فلأمتع نفسي بكل ما في العالم، طالما بقى العالم، لنأكل ونشرب لأننا غدًا نموت".

ومع ذلك فإن يعقوب هذا بنفسه عندما وقف أمام فرعون، أنحنى أمامه فرعون — وهو أعظم ملوك العالم — بشغف ليلتمس منه البركة «وَبَارَكَ يَعْقُوبُ فِرْعَوْنَ» (٤٧: ١٠). صحيح أن يعقوب اشتهر في بداية حياته بالمكن والدس والخداع، ولكن يظهر أن هذه كلها ذابت في بوتقة الآلام التي صهر فيها، فوصل إلى عظمة أدبية أمكن أن تؤثر حتى في فرعون المتغطرس.

لم يكن ممكنًا قطعًا لعيسو أن يبارك فرعون، أما هذا المتغرب المتهدم فقد استطاع الآن أن يفعل ما كان مستحيلاً على أخيه الثري الناجح، «بِدُونِ كُلِّ مُشَاجَرَةٍ: الأَصْغَرُ يُبَارَكُ مِنَ الأَكْبَرِ» (عب٧: ٧). واضح إذن أن يعقوب كان أعظم من أعظم ملوك عصره.

لذلك فهنالك عظمة مستقلة كلية عن كل الظرف العرضية التي تعلق عليها العظمة أحيانًا، أن منصة القضاء لا تخلق قاضيًا، والتاج لا يخلق ملكًا، والثروة والمناصب لا تخلق عظماء كان يعقوب عظيمًا حقًا، لبس جلالاً ملكيًا، وتسلم البراءة الملكية من الله. لقد قال له الله نفسه «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ»* (تك٣٢: ٢٨).

كانت هناك ثلاثة عوالم هي التي ألبست يعقوب جلالاً ملكيًا. وهذا عين ما تفعله معنا نحن أيضًا.

١- الصلاة: في الصحراء رأى في حلمه أن الصخور العظيمة تتراكم فوق بعضها فتكون سلمًا يمس رأسه السماء، صار هذا السلم سر القوة في حياته منذ ذلك الحين تعود أن يعيش عن

* "لأنك أن رؤست عند الله فعلى الناس أيضًا تستظهر" حسب ترجمة اليسوعيين، أو "لأنك كرئيس جاهدت مع الله والناس وقدرت" حسب الترجمة الإنكليزية.

قدمي هذا السلم، صاعدة عليه الملائكة بسرعة لترفع صلواته لله، ونازلة عليه بأقدامها الجميلة حاملة الخير الوفير.

فتعلم يا أخي أن تصلي بلا انقطاع. هذا هو سر العظمة، والذي يعرف كيف يقضي الأوقات الطويلة في الحضرة الملكية يلبس جلالاً ملكيًا.

٢- الآلام: كانت طبيعته قد أفسدتها عناصر محبة الذات، والميول الجسدية، والأنانية، استغل جوع أخيه استغلالاً سيئًا، ودَّع أباه الشيخ، ونهى ثروته على حساب خاله، واستخدم وسائل وضيعة مليئة بالمكن والخداع للوصول إلى أغراضه، ولكن الآلام لاشت كل هذه وخلقت منه إنسانًا جديدًا.

ولا تزال الآلام تفعل هكذا بكل الذين نالوا الطبيعة الجديدة، والذين يتعلمون بوداعة الدرس الذي تقصد محبة الله أن تعلمهم إياه.

فلا تنفر أو تهرب من الآلام والأحزان، إنها تأتي لكي تضع التاج على رأسك، الخروف جلس على العرش بعد أن ذُبح، ولا يزال العرش محفوظًا لمن تعلموا أن يتألموا معه، وأن يموتوا معه.

٣- الاتصال بالمسيح، «وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ»، من كان هذا الإنسان؟ لا يمكن إلا أن يكون يهوه، الذي لا يُرى وجهه، كان هو الرب نفسه الذي قصد أن يطهر عبده من الضعف والشرور التي لصقت به طويلاً، وأضعفت حياته الروحية، ومنذ تلك اللحظة تغير يعقوب إلى "إسرائيل".

٤- أيها القراء الأعزاء، تأكدوا أن يسوع، محب النفوس، يصارع معكم، مشتاقًا أن يخلصكم من الدناءة ومحبة الذات، وأن يرفعكم أيضًا إلى الحياة الملكية، فسلموا له ذواتكم، لئلا يضطر أن يخلع حق فخذ قوتكم، إن سمحتم له بإتمام عمله جعلكم حقًا رؤساء مع الله، فيلتف حولكم بسرور من هم أرفع منكم لطلب البركة الروحية التي سوف تعطونها.

تأملات هادئة

يوحنا داربي

«الشَّعْبَ السَّاكِنَ فِي الأَرْضِ مُعْتَزٌّ، وَالْمُدُنُ حَصِينَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا...
وَقَدْ رَأَيْنَا هُنَاكَ الْجَبَابِرَةَ، بَنِي عَنَاقٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ.
فَكُنَّا فِي أَعْيُنِنَا كَالْجَرَادِ،
وَهكَذَا كُنَّا فِي أَعْيُنِهِمْ» (عد١٣: ٢٨، ٣٣)

كان يجب على الجواسيس أن تترسخ فيهم أن الأرض تفيض لبنًا وعسلاً؛ ولكن كان هناك التردد. لماذا؟ لأنهم لم يثقوا في الرب؛ فرأوا الأسوار والجبابرة. ولم يروا الرب. فعيونهم رأت المنظر ولم تكن لهم عيون الإيمان. لقد أبعدوه ولم يجده — له المجد — في حسابات عدم الإيمان. فما رأوا إلا الأسوار والجبابرة. أما الإيمان فلا يرى سوى الرب. ولقد أعلنوا كيف بَدَوا في عيون أنفسهم وفي نفوس أولئك الجبابرة. ولم يقولوا كلمة عن نظرة الرب لأولئك أو في عدم الإيمان بإسرائيل أن يتيه في البرية — بعيدًا عن أرض الموعد — لمدة أربعين سنة.

والآن — عزيزي القارئ — لنستعيد تلك الكلمات «فَهذِهِ الأُمُورُ... كُتِبَتْ لإِنْذَارِنَا» (١كو١٠: ١١)
إن الهدف اللامع مِن التأمل في هذه الأمور؛ هو تشجيعنا لتكن ثقتنا بدون حد في المسيح ولتكن لنا حياة نابضة بالإيمان، ويكون لنا الأساس الراسخ في دمه، وهذا امتيازنا، فتكون لنا النصرة على الخطية الساكنة فينا، ويكون لنا الدخول في حياة ملؤها الاختبارات المتنامية والنابعة من الشركة مع المسيح. هناك أمر هام نعلمه جيدًا؛ أن خطايانا مُحيت بدم المسيح كما وتيقنا بأن الرب — له المجد — أباد قوة الخطية الساكنة فينا وليس أمامنا إلا الحياة في نصرة، وفي شركة لا تتعطل معه.

سيبقى العدو يجتهد أن ننشغل بذواتنا وبصعوبات الطريق والحل البسيط هو أن نثق في سيدنا وما عمله؛ نعم نثق ونثق ونثق.

من روائع الكلمة

الله .. بين قصده وخطته

يربكنا الخلط بين مقاصد الله غير المرتبطة بأي شيء ولا حتى بإرادة الإنسان وبين خطته التي لا يفرضها فرضًا على أي إنسان مهما كان.

مقاصد الله: هي دائمًا لخير الإنسان وبركته ولا يعطلها شيء .. إنها أمر مرتبط بالله وصلاحه كلية واتجاهه نحو الإنسان بالنعمة الغنية المتفاضلة.

أما **خطة الله:** ومشيئته العملية في حياة كل إنسان فهي يقينا صالحة وعظيمة ولكنها تتوقف على طاعتنا نحن ورغبتنا وإصرارنا على أن نكتشفها ونحياها.

لبيان الفارق بين الأمرين نأتي بمثالين من كلمة الله:

الأول: يعقوب وبكوريته: يقينًا كان **قصد الله** ليعقوب من البداية أن يكون هو البكر «كبير يُستعبَد لصغير»، ولكن بالتأكيد ليس بالحيلة والخداع كما فعل يعقوب فهذه لم تكن **خطة الله** لنوال البكورية له بالتأكيد، وقد حصد نتائج خداعه هذا مضاعفًا بعد ذلك في يوسف ابنه، وفي زواجه بليئة.

الثاني: يونان ونينوى: مرة أخرى كان **قصد الله** هو وصول رسالة التحذير وخلاص أهل نينوى بواسطة يونان النبي. ولكن يقينًا لم تكن **خطة الله** أن يعصي يونان الرب ويذهب إلى نينوى نتيجة لذلك في أول وأعجب غواصة في التاريخ: حوت!!

إذا فلنسترح ونفرح كمؤمنين بمقاصد الله اليقينية الروحية والأبدية من جهتنا، ولكن لنحذر عواقب عصيان طاعته لئلا نفقد خطته ومشيئته الصالحة في حياتنا.